• رنا بشـــارة وصـــبّـــار فلسطين •

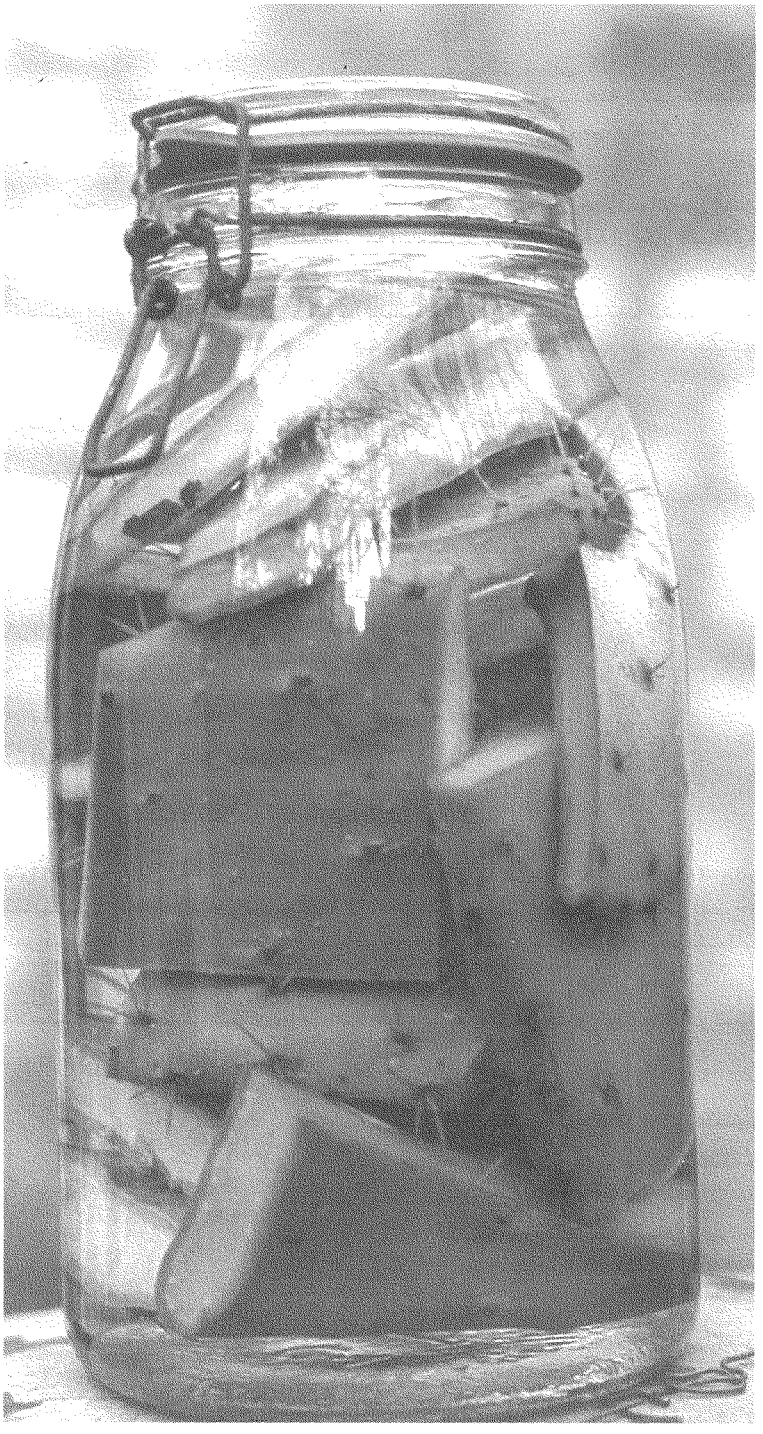

بين ٢٧ / ٤ و١٢ / ٥ من هذا العام أقامت الفنانة الفلسطينية رنا بشارة (مولودة في ترشيحا عام ١٩٧١ ودرستْ في حيفا ونيويورك) معرضًا في غاليري غونزاليس البلدي في ضاحية لاپلاس قرب باريس. وقد تضمّن المعرض (وهو بعنوان «تحية إلى فلسطين») أعمالاً رُسمتْ بمادة الشوكولاتة على ٥٩ لوحًا زجاجيًّا (هو عدد سنوات الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين)، علمًا أنّ الشوكولاتة حين تَنْشف تصبح كالدم اليابس. وهذه الرسوم، كما تقول بشارة، هي إعادةُ إنتاجٍ لصورٍ تحكي في الأساس سادِيَّةَ الجنود الإسرائيليين. وفي مواجهة تلك الألواح، شجرُ صبّارٍ قُطِّع ووضعتْ قِطعُهُ في مرطبان للكبيس، أو ثُقبتْ إحدى ثماره وأُقْحِمَتْ فيها ساعةٌ رمليةٌ (راجع الغلاف الأخير من هذا العدد)، أو غير ذلك. هذا، وقد أثار المعرضُ حفيظةَ المنظّمات الصهيونية، ووَجّهت الجاليةُ اليهوديةُ رسائلَ احتجاجٍ إلى بلدية لاپلاس لإقامتها إيَّاه.

في ما يلي نصٌّ قصيرٌ من ورقة طويلة كتبها جون هالاكا (J. Halaka)، وهو بروفسور في الفنون البصرية في جامعة سان دييغو (كاليفورنيا)، عن أحد تجهيزات رنا بشارة (إلى اليسار) وعنوانُه: «تحية إلى فلسطين.»

الآداب

في أعمال رنا بشارة الإبداعية يُستخدم الصبّارُ لتصوير الضرر اللاحق بفلسطين، وللتعبير عن مقدرة شعبها الهائلة على التكيُّف

وفي عمل بسيط، لكنّه جبار، لرنا بشارة، وهو بعنوان «تحية إلى فلسطين» (١٩٩٨)، حَشَرتْ هذه الفنانةُ قطعًا طازجةً من الصبّار في وعاءٍ (قطرمين) للكبيس (المخلّل)، مُحْكَمِ الإغلاق، صافي اللون، من أجل التعبير عن الضغط الثابت والقيود المفروضة على الفلسطينيين

تحيل قِطَعُ الصبّار في الوعاء على التمزيق العنيف لأوصال الفلسطينيين، وعلى تهجيرهم عن أرضهم. كما تُحيل على التقييد القمعي لتحرُّكهم جرّاء الحدود المحكمةِ الإغلاق، والمليئةِ بالحرّاسِ، المفروضةِ على الأراضي الفلسطينية؛ فضلاً عن فُرصِ النموّ المحدودة المتوفّرة أمام «وعاء الاحتلال» هذا، المكتظِّ والمحفوظِ بعناية.

إنّ هذا العملَ الأنيقَ البساطةِ يَرْمز إلى فلسطين وإلى الوطنية الفلسطينية بوصفهما كيانًا محبوسًا ومسيطَرًا عليه «بأمان » إنّه يمثِّل الحقيقةَ الراهنةَ لفلسطين في وصفها وجودًا يَسْهل نقلُه إلى الرفِّ الخلفي للخطاب العالمي عن «التحرير والعدالة وحقوق الإنسان.» فإذ توضَعُ المطامحُ الفلسطينيةُ على الرفّ الخلفي بعيدًا عن الأنظار، فإنّها في النهاية ستَنْدرج ضمن فئة «بعيدٌ عن العين بعيدٌ عن القلب» وسيستمرّ نسيانُها وإهمالُها حتى تندثر.

والبعدُ الأخطر في عمل بشارة هو أنّه يتعرّض لرغبة الإسرائيليين اليمينيين في ترحيل السكّان الفلسطينيين من إسرائيل [فلسطين ٤٨] والمناطق الفلسطينية [عام ٦٧] وإذ يُقتلع وعاءُ الفلسطينيين المُحْكَمُ الإغلاقِ من جذوره، وتُقَطَّع أوصالُه، وتُحَدُّ حركتُه، فإنّه يَسْهل بعد ذلك نقلُه إلى أرضٍ بعيدة.

إنّ وعاء الصبّار البسيط الذي أنجزتْه بشارة يفكّك، على نحوٍ بليغٍ، الاستراتيجيةَ التاريخيةَ الإسرائيليةَ حيال الفلسطينيين على أنّه يحتوي درجةً عنيدةً من الأمل: ذلك أنّ محتوياته، ألا وهي قطعُ صبّار، قابلةٌ بشكلٍ لافتٍ للتكيُّف والتأقلم والصَّبْر وحين يُكْسر الوعاءُ (وهو مصنوعٌ من الزجاج في نهاية المطاف) وتُطْلق محتوياتُه، فستتمكّن قطعٌ كثيرةٌ من التجذُّر من جديد، وستبدأ تدريجيّاً بالنموّ في تُربتها الأولى

جون هالاكا